الرسولُ يبنِي مسجده

منذُ وصلَ الرسولُ ﷺ إلى المدينة ابتاعَ المكانَ الذي بركتْ فيه ناقتُه، وكانَ مربدًا للتمرِ يملكُهُ الغلامانِ (سهلٌ وسهيلٌ) فاشتراهُ وأبَى أن يقبلَه هبةً.

وأمرَ رسولُ الله أن تُسَوَّى ما فيه من حفر، ويقطعُ ما به منْ نخيل وأصلحَتْ أرْضهُ وبدأ في بناء المسجد من اللَّبن وجانبَيْ البابِ منَ الحجارة، وسقفه من الجَريد، وأعمدَته من جذوعُ النخل، وكانَ ارتفاعُه لا يزيدُ على قامة الإنسانِ إلا بشيءٍ يسيرٍ.

واشتركَ معهُم الرسولُ ﷺ في البناء تقويةً للروح المعنوية، وبياناً لمنزلة المسجد وقيمة العمل وشرفه. وكانَ بعضُ الصحابة يرتجزونَ الشعرَ في حماسة حينَ يرونَ الرسولَ يأبَى أن يتميَّزَ علَى واحد منهُم، فيقومُ بالعمل كواحد منهُم، ويقولُ بعضُهم:

لئِنْ قَعدنا والنبيُّ يعملُ   لَذاكَ منا العملُ المضلَّلُ

وكانُوا يروِّحون عنْ أنفسهِم عناءَ العملِ بترديدِ بعضِ الشعرِ قائلينَ:

اللهمَّ لا عيشَ إلا عيشُ الآخرَة فارحمِ الأنصارَ والمهاجرَة

* * *

وكانَ المسجدُ آنئذ مرتكزَ الصلة الكبرَى بينَ الخلق وخالقهم، ففيه تؤدَّى الصلاةُ، ومنهُ يرتفع نداءُ التوحيد، وفيه تكونُ الصلةُ بينَ الأفراد والجماعات، ومنهُ تنبثقُ مبادئُ الصَّبر والرَّحْمة، والأخلاق الرشيدة. وكانَ المسجدُ بجانب ذلكَ ملتقًى لجميع المسلمينَ، تتمُّ فيه مجالسُ الشورَى، والفصلُ في القضايَا وشؤون التجارة، ومَا إلَى ذلكَ.

وقدْ جاءَ في فضل المسجد النبويِّ أحاديثُ منهَا:

عنْ أبي هُرَيْرة ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ:

«لا تُشَدُّ الرحالُ إلا إلَى ثلاثة مساجدَ: مسجدي هذَا، والمسجد الحرامِ، ومسجد بيت المَقْدس».

«صلاةٌ في مسجدِي هذَا خيرٌ من ألفِ صلاةٍ فيمَا سواهُ إلا المسجدَ الحرامَ».

«مَا بينَ بيتِي ومنبرِي روضةٌ من رياضِ الجنةِ، ومنبرِي علَى حوضي»[1].

(١) الأحاديث مروية في الصحيحين، وهنا رواية مسلم.